المحاضرة السابعة:

مدارس الأدب المقارن العربية ١

أهداف الدرس:

- التعريف الدقيق للأدب المقارن في الثقافة العربية بوصفه منهجًا يدرس أوجه التشابه والاختلاف، وعوامل التأثر والتأثير بين الأعمال الأدبية التي تنتمي إلى ثقافات ولغات مختلفة.
- التعرف على الجذور التاريخية للدراسات المقارنة في التراث العربي، من خلال نماذج رائدة مثل مقارنات الجاحظ بين بلاغات العرب والفرس والروم، وموازنات النقاد القدامى بين الشعراء.
- دراسة المدارس المختلفة في الأدب المقارن (كالفرنسية والأمريكية) وكيفية استفادة الباحثين العرب منها وتأسيس مدرسة عربية ذات ملامح خاصة .

نص المحاضرة:

01- الإرهاصات الأولى للمقارنة في الثقافة العربية:

إن الحديث عن مدرسة في الأدب المقارن ضمن الثقافة العربية هو حديث فيه نوع من الاجحاف لا لشيء سوى أننا في ثقافتنا لم نعرف مايسمى بالمدرسة في الدراسات المقارنة ولكن مع ذلك ظهرت العديد من المجهودات والارهاصات التي كانت تستخدم من المقارنة موضوعا لها، لكن في حدود سطحية وبعيدة كل البعد عن المفاهيم التي أسستها المدرسة الفرنسية أو الأمريكية، ويعتقد الكثير من الباحثين أن الجهود المعرفية التي قدمها كل من الجاحظ وغيره من الباحثين الذين عاصروه، تصب في قالب المقارنة فما قدمه الجاحظ في كتابه **البيان والتبين** و**الحيوان** و**البخلاء** كان مقدمة بيّن فيها هذا الأخير أوجه المفارقة في **مجال البلاغة بين ما قدمه العرب والفرس والهند**، وعلى الرغم من أن هذه الدراسات تصب في نطاق **المتشابه والمختلف** إلا أننا لا يمكن

أن نحكم على أنها تدخل في مجال الدرس المقارن وفي هذا الصدد يقول طاهر أحمد مكي "عرف أدبنا العربي هذا اللون من المقارنة أو الموازنة إذا شئت الدقة وأقدم مانعرف منها الموازنة التي جرت بين امرئ القيس وعلقمة الفحل (...) غير أن النقاد العرب بعامة وقفوا عند الموازنات الفردية عند الأدباء العرب في أدب اللغة العربية نفسها ولم يتجاوزوها إلى ما أخذه الشعراء من لغات أخرى"[1]، ومع هذا فلطاهر أحمد مكي رأي آخر في ما هو متعلق بالجاحظ فهذا الأخير يرى أن ما كتبه الجاحظ هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن ندخله ضمن نطاق الدراسات المقارنة إذا فهمناها ضمن نطاقها الواسع "فالثقافة العربية الإسلامية في قمتها خلاصة ممتازة ومثيرة لعناصر متعددة ولم يستطع الجاحظ أن يقف مكتوف الأيدي أمام ما تفرضه هذه الظاهرة وأغناها بكل تراثه العقلي منذ اللحظة التي بدأ فيها العلماء العرب يجمعون فيها المواد اللغوية والتاريخية والأدبية ودخلت في مسابقة مع عناصر الثقافات الأجنبية"[2]

حاول الجاحظ في كتابه البخلاء الحديث عن صورة الفرس وهذا المجال أصبح اليوم مهم جدا فيما يسمى **بعلم الصورة** أو **الصوراتية** وفي كتابه **الحيوان** ناقش الجاحظ أيضا بابا مهما من أبواب الدراسات المقارنة اليوم وهي الترجمة حيث ناقش قضية ترجمة الشعر العربي ووصل إلى نتيجة مفادها صعوبة ترجمة الشعر على عكس النثر وفي هذا يقول " ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول والمنقول

[1] – طاهر أحمد مكي : في الأدب المقارنة دراسة نظرية وتطبيقية، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1997، ص ص8-9.

[2] – طاهر أحمد مكي : في الأدب المقارنة دراسة نظرية وتطبيقية، ص12.

إليها"[1]، ومن جهة أخرى عرف العرب أيضا مايسمى **بالموازنات** وهو باب مشهور في ثقافتنا وأبرز مثال يمكن أن نحتفي به هو كتاب **الموازنة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني** وهو كتاب حاول فيه **الجرجاني** التوسط بين المتنبي وخصومه، "غير أن ذه الموازنات كانت ذات طابع جمالي بحت ولم تتطرق إلى ظاهرة **التأثير والتأثر** ولعل أبرز ما أدت إليه هو الحديث عن الأصالة وهذه الفكرة لم يعرفها النقد الأوروبي الحديث إلا في أواخر القرن التاسع عشر"[2] ولكن مع كل هذه تبقى كل هذه المحاولات هي مجرد إرهاصات للدرس المقارن في ثقافتنا، وبعد ذلك وفي حوالي منتصف القرن 19 ظهرت محاولات جديدة كانت بمثابة الارهاصات الحقيقية لتأسيس الدرس المقارن، وقد قاد هذه المحاولات رواد النهضة العربية على رأسهم قسطاكي الحمصي ورفاعة الطهطاوي في كتابه **تخليص الابريز في أخبار باريس** وهو يعد مقارنة سطحية بين الثقافتين العربية والإفرنجية، وفي هذا الصدد يقول **ابراهيم عوض** في كتابه **في الأدب المقارن** "المهم أن كاتبنا قد خصص بضع صفحات من ذلك الكتاب على درجة عالية من القيمة في المقارنة بين اللغتين الفرنسية والعربية وكذلك بين أدبيهما، ففي عدة مواضع من ذلك الكتاب نراه يعقد مقارنة بين لغتنا ولغة الفرنسيين وبلاغتنا وبلاغة الفرنسيين"[3] أما مع بداية القرن العشرين فقد ازدهرت حركة الترجمة في ثقافتنا وبدأت المحاولات الجادة تظهر في مجال الأدب المقارن وأبرز مثال يمكن أن نحتفي به هو كتاب **روحي الخالدي تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوغو**

---

[1] – عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، القاهرة، م1، ط2، 2003، ص07.

[2] – محمد عبابسة : المدرسة العربية في الأدب المقارن، مجلة حوليات التراث، ع17، 2017، ص09-10.

[3] – ابراهيم عوض: في الأدب المقارن، مباحث واجتهادات، المنار للطباعة والكومبيوتر، ط1، 2006، ص150.

الذي تحدث فيه عن مسألة **المتشابه والمختلف** وتناول أيضا تأثر الشعر الأندلسي بشعر التروبادور "هذا الكتاب الذي يعده بعض الكتاب الرائد التاريخي للأدب المقارن العربي، يتناول كاتبنا موضوعات من ذلك التخصص وان لم يستخدم لها هذا المصطلح ومن تلك الموضوعات ما ترجمه العرب في إبان نهضتهم على أيام العباسيين وتأتيهم على التأثر بأشعار الأمم الأخرى وكذلك ما أخذه الأوروبيون أو الإفرنج من أيام النهضة المذكورة وتأثر شعر التروبادور بالتقفية الموجودة في الشعر العربي وموضوعاته من مديح ونسيب وهجاء"[1].

اتفق الباحثون والدارسون ومختلف النقاد الذين حاولوا التأريخ للدرس المقارن في الثقافة العربية على أن البداية الفعلية لهذا النوع من الدراسات بدأ سنة 1904 وبالضبط عندما قام سليمان البستاني بترجمة **إلياذة هوميروس** إلى الثقافة العربية أي أن الترجمة كانت أداة مهمة في نقل هذا النوع من المعارف وفي هذا الصدد يقول يوسف بكار "تحوي مقدمة الترجمة التي وضعها البستاني الكثير من النظرات المقارنة فقد وازن البستاني بين الأدب الملحمي عند العرب ومثيله عند الأوروبيين وقابل بين الشعر الجاهلي والشعر اليوناني من حيث النشأة والرواية والتدوين والموضوعات وقارن بن هوميروس وابن الرومي ورد التشابه بين الشعر العربي واليوناني إلى تشابه في التطور الاجتماعي"[2] ويورد **سعيد علوش** في كتابه **مدارس الأدب المقارن** أن **فخري أبو السعود** لعب دورا حاسما في تثبيت وإرساء الدراسات المقارنة في الثقافة العربية وذلك من خلال نشره المنتظم

[1] – ابراهيم عوض: في الأدب المقارن، مباحث واجتهادات، ص171.

[2] – يوسف بكار: الأدب المقارن، ص21.

للعديد من المقالات في **مجلة الرسالة** منذ سنة 1935 "لقد أرسى مصطلح الأدب المقارن وجعل منه تسمية نهائية لهذا اللون من الدراسات الأدبية كما أنه اتجه منذ البداية إلى فصل الأدب المقارن عن غيره من الدراسات الأدبية والتأكيد على أنه لون مستقل بذاته وليس جزء من تاريخ الأدب العربي أو بعبارة أخرى ليس جزء من الأدب الوطني، إنه لم يكن يبحث عن الصلات التاريخية بين الأدبين وإنما كان يبحث عن الصلات الجمالية"[1].

إن هذه الرؤية تقودنا مباشرة إلى البداية الحقيقية للأدب المقارن في الثقافة العربية فما كنا نتحدث عنه سابقا هو مجرد إرهاصات ومحاولات فردية لم يكن هدفها تأسيس مدرسة أو اتجاه في الدراسات المقارنة ولذا يرى النقاد أن المحاولة التي تعتبر الأولى في الثقافة العربية والتي سعت إلى تأسيس منهجية خاصة بالدراسات المقارنة في ثقافتنا هو ما قدمه غنيمي هلال هذا الأخير الذي سنخصص له في المحاضرة القادمة حصة بأكملها للحديث عن أهم ما قدمه للدراسات المقارنة في ثقافتنا ونبين المدى الذي تأثر به غنيمي هلال بالمدرسة الفرنسية وكيف حاول أن يرسي مدرسة مقارنة عربية على النهج الفرنسي كما سنبين أيضا ونتحدث عن بقية المحاولات النقدية التي جاءت وراء الانجاز الذي قدمه غنيمي هلال ونعقد مقارنة طفيفة بين رؤية كل ناقد فيهم.

[1] – سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، ص196.

أسئلة التقويم الذاتي:

- هل تملك الثقافة العربية مدرسة خاصة بها في الدراسات المقارنة؟
- بعد سنة 1904 عرف الدراسات المقارنة في الثقافة العربية تحولات كبيرة بين هذه التحولات؟
- عد للكتب الآتية وتعمق أكثر في الدراسات المقارنة في الثقافة العربية:

1. **سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن.**
2. **إبراهيم سلامة: تيارات أدبية بين الشرق والغرب**
3. **محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن**